﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٨﴾ [القصص: 88]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بعدَما نهَى اللّهُ تعالى نبيَّهُ ﷺ عن أنْ يكونَ مِنَ المشركينَ - بقولِهِ: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ - جاءت الآيات شارحةً لِما يقع عليه النَّهي في باب الأفعال وتوجيه العبادة، فقالَ: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الآيةَ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿هَالِكٌ﴾: (هلك) أصل الهلاك فراغُ جوف الشَّيء ممّا هو حقيقته وجوهره[2]، ممّا يؤدّي إلى كسره وسقوطه[3]، ففراغ الجسد من الروح هلاكٌ: ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾ [النِّساء: 176]، وفراغ الإنسان من السُّلطان والملك هلاكٌ؛ لأنَّ ترْكَ المُلك أشدُّ من الموت: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ٢٩﴾ [الحاقة: 29].

2) ﴿ٱلۡحُكۡمُ﴾: (حكم) أصلٌ يدلُّ على المَنْعِ[4]، أو ضبط يمنع التسيُّب بحيث يجري الشيء على ما ينبغي، ويُراد[5]، يقالُ: حَكَمْتُ الدّابَّةَ، أي: منعتُها بالحَكَمةِ، وهي اللِّجامُ، وأحكمتُها، أي: جعلتُ لها حَكَمةً، والحُكمُ بالشَّيءِ: أنْ تقضيَ بأنَّهُ كذا، أو ليسَ بكذا، سواءٌ ألزمتَ ذلكَ غيرَهُ أم لم تُلزِمْهُ، والحِكْمةُ: إصابةُ الحقِّ بالعلمِ والعقلِ[6]، أو بالعلم والعمل.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لا تَعْبُدْ - أيُّها النبي - معَ معبودِكَ الَّذي لهُ عبادةُ كلِّ شيءٍ معبودًا آخرَ سواهُ؛ إذ لا معبودَ تَصلُحُ لهُ العبادةُ إلّا اللّهُ الَّذي كلُّ شيءٍ هالكٌ إلّا وجهه، ولهُ الحُكْمُ بينَ خلقِهِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 381.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (هلك).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هلك).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حكم).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي: (حكم).
(6) الراغب، المفردات: (حكم).

دونَ غيرِهِ، وإليهِ تُرَدّونَ مِنْ بعدِ مماتِكم، فيقضي بينَكم بالعدلِ، فيُجازي مؤمنيكُم جزاءَهم، وكفّارَكم ما وعدَهم[1].

وجوبُ إخلاصِ العبادةِ للهِ الَّذي لا معبودَ سواهُ

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الوصل في قوله: ﴿وَلَا تَدۡعُ﴾:

الواوُ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ عاطفةٌ هذهِ الجملةَ على ما قبلَها، وفائدةُ هذا العطفِ تأكيدُ النَّهيِ عن الإشراكِ، وكأنَّه قال: لا تكونن من المشركين بذاتك، ولا تفعل فعلًا من أفعالهم، ولا تدعُ مع اللهِ إلهًا آخرَ.

التشريك في النَّهي عن الإشراك وتأكيده

بلاغةُ التَّعبيرِ بـ(لا) الناهية في: ﴿وَلَا تَدۡعُ﴾:

(لا) في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ ناهيةٌ، وهي تفيدُ النَّهيَ عن أنْ يُدْعَى معَ اللهِ إلهٌ آخرُ، ويشير امتداد (لا) إلى امتداد النَّهي في الزمان الحاضر والمستقبل.

امتدادُ النَّهي في الزمان الحاضر والمستقبل تهييجٌ لك وامتثالٌ لأُمَّتك

ولمّا كانَ الشِّركُ لا يُتصوَّرُ مِنَ النَّبيِّ ﷺ؛ فالنَّهيُ: إمّا للتَّهييجِ وقطعِ أطماعِ المشركينَ عن مساعدتِهِ لهُم[2]، وإظهارِ أنَّ المنهيَّ عنهُ في القُبْحِ والشَّرّيَّةِ بحيثُ يُنهَى عنهُ مَنْ لا يمكنُ صدورُهُ منهُ أصلًا[3]، وفي ذلكَ تحريضٌ على الثَّباتِ والدَّوامِ على عدمِ الإشراكِ[4].

ويحتمل أن يكونَ المُرادُ نهيَ أمَّتِهِ، وإنْ كانَ الخطابُ لهُ ﷺ[5]، ونكتةُ توجيهِ الخطابِ إلى النَّبيِّ ﷺ تعظيمُ شأنِ الإشراكِ[6]؛ لأنَّ أمرَ الرَّئيسِ أدعَى لأتباعِهِ إلى القبولِ[7].

ربَّما كانَ المُرادُ نهيَ أُمَّتِهِ لا نهيَه ﷺ

ويحتمل أن يكون النَّهيُ موجَّهًا إلى النَّبيِّ ﷺ في الظّاهرِ،

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 643.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 187.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 28، والآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 335.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 589.
(5) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 89.
(6) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 20.
(7) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 382.

والمقصودُ به إبطالُ الشِّركِ وإظهارُ ضلالِ أهلِه؛ إذ يزعمونَ أنَّهم معترفونَ بإلهيَّةِ اللهِ تعالى، وأنَّهم إنَّما اتَّخذوا لهُ شُرَكاءَ وشُفَعاءَ، فبيَّنَ لهُم أنَّ اللهَ لا إلهَ غيرُهُ، وأنَّ انفرادَهُ بالإلهيَّةِ في نفسِ الأمرِ يقضي ببطلانِ الإشراكِ في الاعتقادِ، ولو أضعفَ إشراكٍ[1].

احتماليَّةُ كونِ المقصودِ إبطالَ الشِّركِ وإظهارَ ضلالِ أهلِهِ

بلاغةُ التَّعبيرِ بالدُّعاءِ في ﴿وَلَا تَدۡعُ﴾:

المرادُ بالدُّعاءِ في قولِهِ جلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ العبادةُ[2]، فيكونُ مجازًا مُرسَلًا عنها، وقد عُبِّرَ بهِ؛ لأنَّهُ أهمُّ صورةٍ مِنْ صوَرِها، وقد كانَ المشركونَ يدعونَ معَ اللهِ آلهتَهم الَّتي لا تضرُّ، ولا تنفعُ، فوردَ النَّهيُ عن فعلِ ذلكَ؛ ليكونَ الدُّعاءُ خالصًا للهِ تعالى وحدَهُ، ولا مانع من أن يُراد به دعاء المسألة؛ لأنَّه أبرز عبادة من العبادات.

الجمعُ بين دعاءِ العبادةِ ودعاءِ المسألةِ

دلالةُ صيغةِ المضارعِ في ﴿وَلَا تَدۡعُ﴾:

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ المجزومِ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾؛ للدَّلالةِ على طلبِ الاستمرارِ على عدمِ الدُّعاءِ مع اللهِ إلهًا آخرَ، بكلِّ أنواعِ الدُّعاءِ وأشكالِه في سائرِ الأزمنةِ والأمكنةِ.

الاستمرارُ على عدمِ الدُّعاءِ

سرُّ تركِ توكيدِ ﴿وَلَا تَدۡعُ﴾:

نهَى اللهُ تعالى نبيَّهُ ﷺ عن أنْ يكونَ مِنَ المشركينَ، فقالَ مُؤكِّدًا: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾، ثمَّ نهاهُ عن مشاركتِهم في الدُّعاءِ، فقالَ دونَ تأكيدٍ: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾؛ لأنَّ الكائنَ مِنْ قومٍ موصوفٌ بما اتَّصفَ بهِ كلٌّ منهُم، ومشاركتُهم بالفعلِ أبعدُ مِنْ مشاركتِهم بالسُّكوتِ[3].

مشاركةُ المشركينَ في أفعالِهم أبعدُ مِنْ مشاركتِهم بالسُّكوتِ عن باطلِهم

بلاغةُ حرفِ الجر ﴿مَعَ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَعَ ٱللَّهِ﴾:

﴿مَعَ﴾ المضافةُ إلى لفظِ الجلالةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ

الدَّلالةُ على الجمعِ والمعيَّةِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 196.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 335.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 381.

ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ تفيدُ معنى الجمعِ والمعيَّةِ، والمعنى: ولا تجمَعْ في الدُّعاءِ بينَ اللهِ وأيِّ إلهٍ آخرَ؛ بل أفردِ اللهَ تعالى بالدُّعاءِ والعبادةِ.

بلاغةُ وضع الظاهر موضع المُضمر:

الجمعُ بين الربوبيَّة والألوهيَّة مع تربية المهابة في القلوب

لمّا كان المقام مقامَ تحذيرٍ من الشِّرك؛ ناسبَ أن يُذكرَ لفظ الجلالة لامتلاء القلوب مهابة منه سبحانه، ولو وُضِعَ الضَّميرُ على أصله، فقيل: (ولا تجعل معه إلهًا آخرَ)؛ لعاد الضمير إلى لفظ الرب المُشعِر بالإنعام والإحسان، وهذا المعنى لا يتناسب مع التَّحذير من الشِّرك؛ فجاء الظاهر موضعَ المُضمَر مع مخالفة الألوهيَّة للرُّبوبيَّة؛ ليُناسب ذلك المقام.

سرُّ التَّعبيرِ بلفظِ الجلالةِ في ﴿مَعَ ٱللَّهِ﴾:

مناسبةُ لفظِ الجلالةِ لمقامِ النَّهي عن الشِّركِ

جيءَ بلفظِ الجلالةِ دونَ غيرِهِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾؛ لِما يدلُّ عليه هذا اللَّفظُ مِن اتِّصافِهِ جلَّ ذِكرُهُ بصفاتِ الجلالِ والكمالِ الَّتي بها يستحقُّ الإفرادَ بالألوهيَّةِ والعبادةِ، أي: ولا تجعَلْ معَ اللهِ الجامعِ لجميعِ صفاتِ الكمالِ إلهًا آخرَ[1].

وفيهِ أيضًا إدخالٌ للمَهابةِ في النُّفوسِ يناسبُ مقامَ التَّحذيرِ مِنَ الشِّركِ، وذلكَ أيضًا هو سرُّ العدولِ عن الإضمار، فلم يقل: (ولا تجعلْ معَهُ إلهًا آخرَ)، أي: معَ ربِّكَ المذكورِ في قولِهِ: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾.

دلالةُ تنكيرِ ﴿إِلَٰهًا﴾:

تنكيرُ ﴿إِلَٰهًا﴾ في قولِهِ تعالى ذِكْرُهُ: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ للعُموم؛ لأنَّ النَّكرةَ في سياقِ النَّهي تعمُّ[2]، أي: ولا تدْعُ معَ اللهِ أيَّ فردٍ مِنْ أفرادِ الآلهةِ.

نكتةُ وصفِ ﴿إِلَٰهًا﴾ بـ ﴿ءَاخَرَ﴾:

المبالغةُ في الإنذارِ

النَّكرةُ في سياقِ النَّهي في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 381.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 381.

تعمُّ كما لو كانَتْ في سياقِ النَّفي، وكانَ المشركونَ قد تعنَّتوا؛ لمّا رأَوُا النَّبيَّ ﷺ يدعو باسمِ اللهِ واسمِ الرَّحمنِ، فقالَ: ﴿ءَاخَرَ﴾، أي: غيرَ اللهِ حقيقةً دونَ أنْ يغايرَ في الاسمِ دونَ الذّاتِ، والمرادُ بهذا كلِّهِ المبالغةُ في الإنذارِ؛ إعلامًا بأنَّ تاركَ النَّهي عن المُنكَرِ معَ القدرةِ شريكٌ للفاعلِ، وإنْ لم يُباشِرْهُ، والنَّبيُّ ﷺ قادرٌ على ألّا يدعو مع اللهِ إلهًا آخر لحراسةِ اللهِ تعالى لهُ[1].

بلاغةُ الجمعِ بينَ ﴿وَلَا تَدۡعُ﴾ و﴿وَٱدۡعُ﴾:

جمالُ التَّقابلِ اللفظي بين الفعلين

في ذِكرِ قولِهِ سبحانَهُ: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ بعدَ قولِهِ: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾ مراعاةٌ للتَّقابلِ بينَ الفعلَيْنِ، وإنْ كانَ النَّهي الأوَّلُ مِنَ الدُّعاءِ، والأمر الثّاني مِنَ الدَّعوةِ، والجملةُ الثّانيةُ بمنزلةِ التَّأكيدِ للجملةِ الأولى.

علَّةُ فصلِ جملةِ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ عمّا قبلَها:

تأكيدُ النَّهي بذكرِ علَّتِه بعده

فُصِلَ قولُهُ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ عن قولِهِ: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾؛ لأنَّهُ مُؤكِّدٌ لهُ[2]، فيكونُ الفصلُ بينَهما؛ لِما بينَهما مِنْ كمالِ الاتِّصالِ، أو أنَّ جملةَ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ في معنى العلَّةِ للنَّهي الَّذي في الجملةِ قبلَها[3]، وكأنَّ المعنى: ولا تَدْعُ معَ اللهِ إلهًا آخرَ؛ لأنَّهُ لا إلهَ إلّا هو، فيكونُ الفصلُ لشبْهِ كمالِ الاتِّصالِ؛ لأنَّ الثّانيةَ استئنافٌ بيانيٌّ جوابًا عن سؤالٍ اقتضَتْهُ الأولى.

بلاغةُ القَصْرِ بالنفي والاستثناء في ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾:

استغراق النفي لجميع الآلهة المعبودة من دون الله

عُبِّرَ بـ ﴿لَآ﴾ النّافيةِ للجنسِ في قولِهِ تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾؛ لإفادةِ استغراقِ النَّفي لجميعِ الآلهةِ المعبودةِ، وأُردِفَ بالاستثناءِ بـ ﴿إِلَّا﴾؛ لدفعِ توهُّمِ دخولِهِ جلَّ شأنُهُ في النَّفي العامِّ، وهذا القصرُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 381.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 589.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 381، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 196.

حقيقيٌّ، وهو مِنْ قصرِ الصِّفةِ على الموصوفِ، وفيهِ مبالغةٌ في إثباتِ وحدانيَّتِهِ ﷻ، حيثُ أُثبِتَتْ لهُ الأُلوهيَّةُ بعدَ نَفْيِها عن كلِّ ما سواهُ.

بلاغةُ الإيجازِ في ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾:

كثرةُ المعاني بحذف اللفظ الدال عليها

في قولِهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إيجازٌ بديعٌ، وذلكَ أنَّ خبرَ ﴿لَآ﴾ محذوفٌ دلَّ عليهِ ما في ﴿لَآ﴾ مِنْ معنى النَّفي؛ لأنَّ كلَّ سامعٍ يعلمُ أنَّ المرادَ نفيُ هذهِ الحقيقةِ، فالتَّقديرُ: (لا إلهَ موجودٌ إلَّا هو)[1]، أو لا إله معبود بحقٍّ إلّا هو.

علَّةُ فصلِ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ عمّا قبلَهُ:

تأكيدُ الكلامِ بذكرِ علَّتِه المفردة أو عِلله المتتابعة

يحتمل أن يكون قد فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ عن قولِهِ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ لِما بينَهما مِنْ كمالِ الاتِّصالِ؛ لأنَّهُ كالتَّأكيدِ لهُ[2]، أو أنَّ قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ تعليلٌ لقولِهِ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[3]، فيكونُ الفصلُ بينَهما لِما بينَهما مِنْ شبهِ كمالِ الاتِّصالِ، ويحتمل أن يكون قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ علَّةً ثانيةً للنَّهيِ في قولِهِ: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾؛ لأنَّ هلاكَ الأشياءِ الَّتي منها الأصنامُ وكلُّ ما عُبِدَ معَ اللّهِ وأُشرِكَ بهِ دليلٌ على انتفاءِ الإلهيَّةِ عنها؛ لأنَّ الإلهيَّةَ تُنافي الهلاكَ، وهو العدمُ[4]، فيكونُ الفصلُ لشِبْهِ كمالِ الاتِّصالِ أيضًا.

بلاغةُ التَّعبيرِ بـ﴿كُلُّ﴾ في ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾:

لا يترك الهلاك شيئًا لا سيَّما الآلهة المدَّعاة

لفظ ﴿كُلُّ﴾ أقوى الألفاظ الدالَّةِ على العموم، وهو هنا يشير إلى أنَّ كلَّ إلهٍ مزعوم، ومعبود بباطل سيُهلَك ويُفنى، فإلامَ يتَّجه عُبّاد تلك الآلهة إذا هلكت وفنيت؟ ولم يستثنِ من هذا العموم في الهلاك إلّا وجهَ اللّه تعالى.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/ 75.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 589.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 381.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 197.

بلاغةُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿شَيْءٍ﴾:

المبالغةُ في التَّعميمِ المناسبِ لمقامِ التَّوحيدِ

عُبِّرَ بلفظِ ﴿شَيْءٍ﴾ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾؛ لِما فيهِ مِنَ التَّعميمِ المناسبِ لمقامِ بيانِ علَّةِ تفرُّدِهِ جلَّ وتباركَ بالألوهيَّةِ؛ لأنَّ كلمةَ ﴿كُلُّ﴾ - كما يقالُ - جنسُ الأجناسِ[1]، ويُؤيِّدُ هذا التَّعميمَ إضافةُ لفظِ العُمومِ ﴿كُلُّ﴾ إليهِ، والمعنى: كلُّ موجودٍ مُطلَقًا هالكٌ إلّا وجهَهُ[2].

نكتةُ التَّعبيرِ بإعمالِ اسمِ الفاعلِ ﴿هَالِكٌ﴾:

الدَّلالةُ على أنَّ المرادَ الهلاكُ في المستقبلِ

ذِكْرُ صيغةِ اسمِ الفاعلِ في قولِهِ تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ يدلُّ على أنَّ المرادَ الهلاكُ في المستقبلِ[3]، ويحتملُ أنْ يكونَ التَّقديرُ: (ذو هلاكٍ)، فصيغةُ (فاعلٍ) للنسبِ[4].

بلاغةُ التَّعبيرِ بـ ﴿إِلَّا﴾ في قولِه تعالى: ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾:

الوصولُ في الإيجازِ والبلاغةِ إلى درجةِ القصرِ

﴿إِلَّا﴾ في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ أداةُ استثناءٍ، وقد أفادَتْ هنا استثناءَ وجهِهِ تقدَّسَ ذكرُهُ مِنَ الحكمِ بالهلاكِ، وكأنَّه ﷻ يقولُ: (لا شيءَ باقٍ إلّا وجهَهُ؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ هالكٌ إلّا وجهَهُ).

بلاغةُ التَّعبيرِ بالوجهِ:

اتِّساعُ المعاني باحتمالِ الكلامِ للحقيقةِ والمجازِ

اختُلِفَ في بيانِ المرادِ بالوجهِ في قولِهِ تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، فقيلَ: ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، معناهُ: إلّا ذاتَهُ ﷻ، والمعنى: كلُّ موجودٍ هالكٌ إلّا اللهَ تعالى[5]؛ وذلكَ لأنَّ وجودَ ما سواهُ سبحانَهُ قابلٌ للعدمِ، وعُرْضةٌ لهُ، فهو كالعدمِ؛ لكونِ وجودِه ليسَ ذاتيًّا، بل هو مُستندٌ إلى الواجبِ تعالى اللهُ في كلِّ آنٍ، والوجهُ بمعنى الذّاتِ مجازٌ مُرسَلٌ، وهو مجازٌ شائعٌ جارٍ على عادةِ العربِ في التَّعبيرِ بالأشرفِ

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 18/ 11051.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 335.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 589.
(4) أطفيش، تفسير أطفيش: 7/ 435.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 197.

عن الجملةِ، وهو نكتةُ العُدولِ هنا عن أنْ يقالَ: (إلّا إيّاهُ)[1]، وقيلَ: المرادُ: إلّا ذا وجهِهِ، أي: ما عُمِلَ لذاتِهِ ومِنْ طاعتِهِ، وتوُجِّهَ بِهِ نحوَهُ[2].

يحتمل أن يكون المقصودُ بالوجه الجهةَ الَّتي تُقصَدُ، ويُتوجَّهُ إليها

ويحتمل أن يكون المقصودُ بالوجه الجهةَ الَّتي تُقصَدُ، ويُتوجَّهُ إليها، والمعنى: كلُّ شيءٍ معدومٌ في حدِّ ذاتِهِ إلّا الجهةَ المنسوبةَ إليهِ تعالى، وهو الوجودُ الَّذي صارَ بِهِ موجودًا، وحاصلُهُ: أنَّ كلَّ جهاتِ الموجودِ مِنْ ذاتِهِ وصفاتِهِ وأحوالِهِ هالكةٌ معدومةٌ في حدِّ ذاتِها إلّا الوجودَ الَّذي هو النّورُ الإلهيُّ[3].

دلالةُ الإضافةِ في ﴿وَجۡهَهُۥٓ﴾:

إضافةُ الوجهِ إلى الضَّميرِ الرّاجعِ إلى الحيِّ القيّومِ في قولِهِ ﷻ: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾؛ لتشريفِ الوجهِ بنسبتِهِ إلى اللّهِ تعالى، وما نُسِبَ إلى العظيمِ عظيمٌ.

علَّةُ فصلِ جملةِ: ﴿لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ عمّا قبلَها:

جملةُ: ﴿لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ تذييلٌ، ولذلكَ كانَتْ مفصولةً عمّا قبلَها[4]، وقيلَ: قد تكون الجملةُ تعليلًا لِما قبلَها[5]، فيكونُ الفصلُ لشِبْهِ كمالِ الاتِّصالِ.

بلاغةُ التعبيرِ باللّامِ في ﴿لَهُ﴾:

لامُ ﴿لَهُ﴾ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾؛ للمِلْكِ والاستحقاقِ والاختصاصِ، فتفيدُ أنَّ الحُكمَ مملوكٌ للّهِ تعالى، ومُستحَقٌّ لهُ، ومُختصٌّ به.

نكتةُ تقديمِ ﴿لَهُ﴾ على ﴿ٱلۡحُكۡمُ﴾:

إفادةُ معنى جملتَيْنِ في جملةٍ واحدةٍ بطريقِ الحصرِ

تقديمُ الخبرِ ﴿لَهُ﴾ في قولِهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾؛ لإفادةِ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 335.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 304.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 335.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 197.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 382.

الحصرِ، والمحصورُ فيهِ هو الحكمُ الأتمُّ، الَّذي لا يردُّهُ رادٌّ[1]، أي: لهُ الحكمُ الأتمُّ ولا يكون لغيرِهِ أبدًا، والقصر حقيقيٌّ إن كان الكلامُ عن يوم القيامة، ويؤيِّد ذلك قوله قبلَهُ: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾، وقوله بعده: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

نكتةُ تعريفِ ﴿ٱلۡحُكۡمُ﴾:

تعريفُ ﴿ٱلۡحُكۡمُ﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾ للعهدِ، أي: لهُ القضاءُ النّافذُ في الخلقِ[2]، أو يكونَ التَّعريفُ للجنسِ، أي: لهُ جنسُ الحكمِ؛ إذ ما مِنْ حُكْمٍ إلّا وهو بإقدارِهِ تعالى وتمكينِهِ وإرادتِهِ، أو يكون التعريفُ لاستغراقِ الأفرادِ والأنواعِ والأشكالِ وغيره ممّا يصلح له الاستغراق هنا.

اتِّساع المعاني لاحتمال العهد والجنس والاستغراق

بلاغةُ الوصلِ بالواوِ في ﴿وَإِلَيۡهِ﴾:

الواوُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾؛ لعطفِ هذهِ الجملةِ على ما قبلَها، وكلتا الجملتَيْن قُدِّم فيهما الجارُّ والمجرور على غيره؛ ليدلَّ ذلك على اختصاص اللّه تعالى بكلٍّ منهما، وقصر كلٍّ منهما عليه.

الاشتراكُ في اختصاص اللهِ تعالى لذلك

بلاغةُ الضَّميرِ في ﴿وَإِلَيۡهِ﴾:

الضَّمير في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ للّهِ تعالى[3]، أي: وإلى اللّهِ تُرْجَعونَ، أو الضَّميرُ للحساب والجزاء، المستفاد من قوله: ﴿لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾، أي: وإلى جزائِهِ تُرْجَعونَ[4].

بلاغةُ التعبير بـ(إلى) في قوله تعالى: ﴿وَإِلَيۡهِ﴾:

كلمةُ (إلى) في قولِهِ تقدَّسَتْ أسماؤُهُ: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾؛ لانتهاءِ الغايةِ مجازًا[5]، أي: كلُّ الخلقِ يرجعون إلى اللّه راغبين أو مرغمين، وتلك غاية الخلق جميعًا.

غايةُ كلِّ الناس الرجوع إلى الله قصدًا أو قهرًا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 197.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 187.
(3) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 89.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 332.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 22.

نكتةُ تقديمِ ﴿وَإِلَيْهِ﴾ على ﴿تُرْجَعُونَ﴾:

الاهتمامُ بالخبرِ مع مراعاةِ الفاصلةِ

جاء تقديمُ ﴿وَإِلَيْهِ﴾ على ﴿تُرْجَعُونَ﴾؛ للاهتمامِ بالخبرِ؛ لأنَّ المشركينَ نَفَوا الرُّجوعَ مِنْ أصلِهِ، ولم يَقولوا بالشِّركةِ في ذلكَ حتَّى يكونَ التَّقديمُ للتَّخصيصِ[1]، أو التَّقديمُ للقصرِ، والمعنى: وإليهِ ﷻ تُرْجَعونَ عندَ البعثِ للجزاءِ بالحقِّ والعدلِ، لا إلى غيرِهِ تعالى[2]، أو التقديم للتَّخصيص، أي: إنَّ رجوعكم مُختصٌّ به تعالى، أو إنَّ القدرة على رجوعكم إليه يختصُّ به سبحانه مسيِّركم، يضافُ إلى ذلكَ أنَّ في تأخيرِ ﴿تُرْجَعُونَ﴾ مراعاةَ ملاءمةِ الفاصلةِ لِما قبلَها.

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ في ﴿تُرْجَعُونَ﴾:

الدَّلالةُ على الحالِ والاستقبالِ

جيءَ بصيغةِ المضارعِ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾؛ لأنَّ الإرجاعَ أمرٌ مستقبليٌّ، وصيغةُ المضارعِ تدلُّ على الحال والاستقبالِ؛ لأنَّ مَن مات الآن؛ فقد رجع إلى اللهِ في الحال، ومَن لم يَمُت؛ فسيرجع إلى اللهِ في المستقبل، أو يكون التَّعبيرُ بهذهِ الصّيغةِ؛ لتصويرِ الحدثِ المستقبلي في الحال الحاضر؛ لعِظَمِ شأنِهِ وهَوْلِهِ.

نكتةُ بناءِ ﴿تُرْجَعُونَ﴾ لِما لم يُسَمَّ فاعلُهُ:

التَّنبيهُ على أنَّ الفاعلَ مُتعيِّنٌ معروف

بُنِيَ ﴿تُرْجَعُونَ﴾ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾؛ لِما لم يُسَمَّ فاعلُهُ؛ للإشعارِ بأنَّ فاعلَهُ مُتعيِّنٌ معروف، وهو اللهُ تعالى؛ إذ لا يُتصوَّرُ نسبةُ الفعلِ إلى غيرِهِ؛ لأنَّهُ أمرٌ عظيمُ الشَّأنِ، لا يَقْدِرُ عليهِ إلّا ذو الجلالِ والإكرامِ.

بلاغةُ الاستعارةِ في ﴿تُرْجَعُونَ﴾:

خلقُ اللهِ يصيرون إليه

الرُّجوعُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ مُستعمَلٌ على وجهِ الاستعارةِ في معنى آخرِ الكونِ؛ لأنَّ حقيقتَهُ الانصرافُ إلى مكانٍ قد فارقَهُ، فاستُعمِلَ في مصيرِ الخلقِ، وهو البعثُ بعدَ الموتِ،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 197.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 382، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 336.

شُبِّهَ برجوعِ صاحبِ المنزلِ إلى منزلِهِ، ووجهُ الشَّبهِ هو الاستقرارُ والخُلودُ، فهو مرادٌ منهُ طولُ الإقامةِ[1].

سرُّ تعدُّدِ الجملِ في الآيةِ:

إثباتُ صفاتٍ جليلةٍ للهِ تعالى لتأكيد انفراده بالألوهية

المقصودُ مِنْ تعدُّدِ الجُملِ في الآيةِ إثباتُ أنَّ اللَّهَ مُنفرِدٌ بالإلهيَّةِ في ذاتِهِ، وهو مدلولُ جملةِ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾، وذلكَ أيضًا يدلُّ على صفةِ القِدَمِ؛ لأنَّهُ لمّا انتفَى جنسُ الإلهيَّةِ عن غيرِهِ تعالى؛ تعيَّنَ أنَّهُ لم يوجِدْهُ غيرُهُ، فثبتَ لهُ القِدَمُ الأزَليُّ، وأنَّ اللَّهَ تعالى باقٍ لا يعتريهِ العدمُ؛ لاستحالةِ عدمِ القديمِ، وذلكَ مدلولُ: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾، وأنَّهُ تعالى مُنفرِدٌ في أفعالِهِ بالتَّصرُّفِ المُطلَقِ الَّذي لا يردُّهُ غيرُهُ، فيتضمَّنُ ذلكَ إثباتَ الإرادةِ والقدرةِ، وفي كلٍّ هذا ردٌّ على المشركينَ الَّذينَ جوَّزوا شركتَهُ في الإلهيَّةِ، وأشركوا معَهُ آلهتَهم في التَّصرُّفِ بالشَّفاعةِ والغَوْثِ، ثمَّ أبطلَ إنكارَهم البعثَ بقولِهِ: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[2].

بلاغةُ ردِّ العَجُزِ على الصَّدْرِ:

انطباقُ آخرِ السّورةِ على أوَّلِها

اتَّضحَ بقولِهِ تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ أنَّ هذا الكتابَ مُبينٌ، وبإنفاذِ إرادتِهِ ﷻ في تقويةِ أهلِ الضَّعفِ مِنْ بني إسرائيلَ على فرعونَ وقومِهِ أنَّ لهُ وحدَهُ الحكمُ على ما يريدُ، ويختارُ، فصحَّ أنَّ إليهِ الرُّجوعَ يومَ المَعادِ، فقد انطبقَ آخرُ السّورةِ على أوَّلِها، وهو قولُهُ: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾ [القصص: 2]، وانشرحَ مُجمَلُها بمُفصَّلِها[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 197.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 197.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 382.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الهلاك والعدم:

الهلاك أعمُّ مِنَ العدم

فُرِّقَ بينَ الهلاكِ والعدمِ: بأنَّ الهلاكَ أعمُّ مِنَ العدمِ؛ لأنَّهُ قد يكونُ بنَقْضِ البِنْيةِ وإبطالِ الحاسَّة، والعدمُ نقيضُ الوجودِ، فهو أخصُّ؛ فكلُّ عدمٍ هلاكٌ، وليسَ كلُّ هلاكٍ عدمًا[1]، وضدُّ العدمِ الوجودُ، بخلاف الهلاك؛ فأغلب استعمال ضدِّه في البقاء.

القضاء والحُكْم:

القضاءُ يقتضي فصلَ الأمرِ على التَّمامِ، والحُكْمُ يقتضي المنعَ عن الخصومةِ

الفرقُ بينَ القضاءِ والحُكْمِ: أنَّ القضاءَ يقتضي فصلَ الأمرِ على التَّمامِ، مِنْ قولِكَ: قَضاهُ؛ إذا أتمَّهُ، وقطعَ عملَهُ، ومنهُ قولُهُ ﷻ: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ [الأنعام: 2]، أي: فصلَ الحُكْمَ بهِ، والحُكْمُ يقتضي المنعَ عن الخصومةِ، مِنْ قولِكَ: أحكمتُهُ؛ إذا منعتَهُ[2].

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 84.

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 431، وزيدان، الفروق اللغوية، ص: 489.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 41 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-92-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 41 : المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-92-1
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»